الأنفس عليه وزوال اختلافها فيه ومُجرى وجوب طاعة القديم سبحانه لما يعقبه من انعامه
وغفرانه ومنه قولهم ان ياء نحو ميزان وميعاد انقلبت عن واوٍ ساكنة لثقل الواو الساكنة
بعد الكسرة وهذا امرٌ لا شك فى كلفة النطق به وكذلك قلب الياء فى موسر وموقن
لسكونها وانضمام ما قبلها ولا اشكال فى ثقل الياء الساكنة بعد الضمة وهذا امرٌ يدعو
الحس اليه ويحدو طلب الاستخفاف عليه ومنه قولهم فى سيّد وميّت وطويت طيا
وشويت شيا ان الواو قلبت ياءً لوقوع الياء الساكنة قبلها فى سيّد وميّت ووقوع الواو
ساكنة قبل الياء فى شيا وطيا فهذا امر هذه سبيله ايضا فى ثقل الأصل وخفّة الفرع *
فان قيل فقد يوجد ايضا فى علل الفقه ما يصح امره وتعرف علّته نحو رجم الزانى المحصن
وحده اذا كان غير محصن وذلك لتحصين الفروج وارتفاع الشك فى الاولاد والنّسل
وزيد فى حدّ المحصن لتعاظم جرمه واقادة القاتل بمن قتله لحقن الدّمآء ولهذا نظائر
كثيرة فلم جعلت علل الفقه اخفض رتبة من علل النحو قيل لعمرى ان ما هذه صورته
فهو جارٍ مجرى علل النحو غير انه من القلّة بحيث لا يكاد ينتسب الى ما لا تعلم علّته
ولا وجه المصلحة فيه ولست نجد شيئا من علل الأعراب الا والنفس تتقبّله
والحس منطوٍ على الأعتراف به فعلل النحو اذًا مواطية للطّباع وعلل الفقه لا تنقاد
جميعها هذا الانقياد فان قلت فقد نجد ايضا فى اللّغة اشيآء كثيرة لا يعرف
لها سبب ولا يوجد الى الأحاطة بعللها مذهب نحو اهمال ما اهمل وليس فى القياس
ما يدعو الى اهماله ومنه الاقتصار فى بعض الأصول على بعض المُثُل ومنه ان
عدلوا فُعَلا عن فاعل فى احرف محفوظة ولم يعدلوا سآئر ما كان على فاعل ولهذا
نظاير كثيرة وايضا فقد وضح وصحّ ان الشريعة انما جاءت من عند الله تعالى
ومعلوم انه سبحانه لا يفعل شيئا الا ووجه الحكمة قآئم فيه وان خفيت عنا معانيه
وليست كذلك حال هذه اللّغة قيل لعمرى ان هذه اسولة تلزم غير انا لا نعطى
فيها باليد بل نجيب عنها فاول ذلك انا لسنا ندّعى ان علل النحو فى سَمْت علل الكلام
البتة بل ندّعى انها اقرب اليها من علل الفقه واذ حكّمنا بديهة العقل وترافعنا
الى الطبيعة والحس فقد وفّينا الصنعة حقها وربأنا بها افرع مشارفها وقد قال
سيبويه وليس شئ مما يضطرون اليه الا وهم يحاولون به وجهًا وهذا اصل يدعو

الى البحث

الى البحث على علل ما استكرهوا عليه نعم ويأخذ بيدك الى ورآء ذلك فتستضئ به ويشتد التنبه
على الاسباب المطلوبات منه ونحن نجيب عما مضى ونورد معه وفى اثنآئه ما يُستعان به و
يفزع فيما يدخل من الشُبَهِ اليه بمشيئة الله وتوفيقه اما اهمال ما اهمل فاكثره متروك
للاستثقال وبقيته ملحقة به ومقفّاة على اثره فمنها ما رفض لتقارب حروفه نحو الصاد
مع السّين والظّاء مع الثّاء والضاد مع الشين وكذلك القاف مع الخآء والكاف مع القاف
وهذا امر واضح لنفور الحس عنه ومشقة النفس فى تكلّفه فان جمع بين اثنين منها قدم
الأقوى على الأضعف نحو اَهْلٍ واَخٍ وعَهْدٍ وكذلك وَرَلٌ ووَتَدٌ ووَطَدٌ يدل على ان الرآء
اقوى من اللام ان القطع عليها امكن وكأنّ ضعف اللام انما كان لما تشربه من الغنّة
عند الوقوف عليها ولذلك لا تكاد تعتاض اللام وقد ترى الى كثرة اللثغة فى الرآء وكذلك
التآء والطّاء هما اقوى من الدّال لان الصوت عند الوقوف عليهما اقوى واظهر وانما قدموا
الأقوى من المتقاربين لان الجمع بينهما ثقيل فلما اعتزموا على النطق بهما قدموا اقواهما لأمرين
احدهما ان الأقوى احق بالسبق لمزيّته على الآخر والثانى ان المتكلم فى اول نطقه
اقوى نَفَسًا واظهر نَشاطًا فقدم اثقل الحرفين والمتكلم على اجمل الحالين كما رفعوا المبتدأ
لتقدمه فاعربوه باثقل الحركات وكما رفعوا الفاعل لتقدمه ونصبوا المفعول لتأخره
فهذا واضح كما تراه واما ما رفض مع مساواته لما استعمل فعنه السؤال وبه الاشتغال
والجواب عنه تابع لما قبله وكالمحمول عليه وذلك ان الأصول ثلاثة ثلاثىّ ورباعىّ
وخماسىّ فاكثرها استعمالا واعدلها تركيبًا الثلاثى لانه حرف يبتدأ به وحرف يحشى
به وحرف يوقف عليه وليست خفّته لقلّة حروفه فقط لانّ الثنائى اقل حروفًا
وهو مع ذلك اقلّ استعمالًا وكذلك ما جآء على حرف واحد اقلُّ مما جآء على حرفين وانما
الخفّة الثلاثى لقلّة حروفه ولحجز الحشو بين مبدئه ومنتهاه لتباينهما وتعادى
حاليهما اذ المبتدأ لا يكون الا متحركًا والموقوف عليه لا يكون الا ساكنا فلما تنافرت
حالاهما وسطوا حاجزًا بينهما لئلا يُفجئ الحس بضدّ ما كان آخذًا فيه ومنصبًا نحوه
فان قيل الحشو لا بد ان يكون اما ساكنا واما متحركا فيلزمك عند الانتقال اليه او عنه
مثل ما فررت منه فالجواب ان الحشو ان كان متحركا فالانتقال عنه انما يكون بعد
امتداد الصوت وملاله والاسترواح الى ضده فيحسن الوقف حينئذٍ واما ان كان

الورل حيوان كالضب قه

Copyright © King Saud University